

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وَقَفَاتٌ مَعَ سُورَةِ فَاطِرٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَضَّلَ بِحِكْمَتِهِ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ، سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابَهُ الْمُبِينِ، هَدَى لِلْمُتَّقِينَ، وَرَحْمَةً وَمَوْعِظَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَشِفَاءً لِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَأَوْذِيَ فَصَبَرَ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أَجْمَعِينَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّهُ لَحَرِيٌّ بِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ، وَالْيَوْمَ سَنَقِفُ وَإِيَّاكُمْ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - مَعَ سُورَةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ، أَلَا وَهِيَ سُورَةُ فَاطِرٍ، وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، يَدُورُ الْكَلَامُ فِيهَا حَوْلَ الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، مِنْ ذِكْرِ لِسْفَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَنِعْمَةِ الْجَسِيمَةِ، وَخَيْرَاتِهِ الْعَمِيمَةِ، وَهِيَ مِنَ السُّورِ الْخَمْسِ الَّتِي تَبْدَأُ بِالْحَمْدِ وَالنِّثَاءِ الْجَمِيلِ لِصَاحِبِ الْفِعْلِ الْجَلِيلِ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَبْدَعَهُ، وَعَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَضَعَهُ، وَالسُّورُ الْخَمْسُ هِيَ الْفَاتِحَةُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْكَهْفُ، وَسَبَأٌ، وَقَاطِرٌ، فَسُورَةُ فَاطِرٍ تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنِي وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَتَمَثَّلُ فِي مَظَاهِرَ كَثِيرَةٍ، يَعْجِزُ الْإِنْسَانُ عَنْ إِحْصَائِهَا، وَعَدَّهَا وَاسْتَقْصَائِهَا، وَقَدْ يَجِدُهَا أَحَدُكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الْمِحْنَةِ وَالرِّخَاءِ، كَمَا تَكُونُ فِيمَا يَحْسِبُهُ أَحَدُكُمْ مِحْنَةً وَبَلَاءً، لَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ رَحْمَتَهُ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي النَّارِ فَوَجَدَهَا بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، وَوَجَدَهَا إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَبُوهُ الذَّبْحَ

(١) سورة فاطر / ٢-١ .

تَصَدِيقًا لِرُؤْيَاہُ، فَوَافَقَهُ إِسْمَاعِيلُ، لَا مُجَرَّدَ طَاعَةٍ وَإِذْعَانٍ، وَلَكِنْ فِي رِضَا وَاطْمِنَانٍ، وَوَجَدَهَا يُونُسُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَوَجَدَهَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ كُلِّ قُوَّةٍ، وَوَجَدَهَا يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الْجُبِّ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَزْمَاتِ، فَنَقَلْتُهُمُ الرَّحْمَةَ إِلَى أَعْلَى الْمَنَاصِبِ وَأَرْفَعَ الدَّرَجَاتِ، وَوَجَدَهَا أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيقِ، فَكَانَ لَهُمْ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرٌ خَالِدٌ عَظِيمٌ، لَقَدْ أَوْأَى بِإِيمَانِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالنُّورِ، بَعْدَ أَنْ فَقَدُوا ذَلِكَ فِي رَحَابَةِ الدُّورِ، وَوَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ، وَالْأَعْدَاءُ يَتَعَفَّبُونَهُمَا وَيَقْصُونَ الْآثَارَ، فَفِي رِحَابِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَكُونُ الطَّمَانِينَةُ وَيَكُونُ الْقَرَارُ، وَتُوجَدُ السَّكِينَةُ وَالْإِسْتِقْرَارُ، أَمَا إِذَا أَمْسَكَ سُبْحَانَهُ رَحْمَتُهُ فَإِنَّ الرِّخَاءَ يَتَحَوَّلُ إِلَى ضَيْقٍ وَبَلَاءٍ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرْسِلُ وَيُمْسِكُ وَفَقَّ حِكْمَةً تَكْمُنُ وَرَاءَ الْإِرْسَالِ وَالْإِمْسَاكِ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ - عِبَادَ اللَّهِ - وَوَحْدُوهُ، وَعَظْمُوهُ وَمَجْدُوهُ، وَالتَّمَسُّوا رَحْمَتَهُ، فَلَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَازِقَ سِوَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا أَنْ أَرْسَلَ رُسُلَهُ الْبِنَاءِ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ بِرُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى عُنْصُرٌ مِنْ عُنَاصِرِ الْإِيمَانِ، يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِصِدْقِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ، رَغْمَ الْعِقَابَاتِ الَّتِي وَضِعَتْ فِي طَرِيقِ دَعْوَتِهِمْ، لَقَدْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، وَفَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمْ يُرْهَبْهُمْ تَكْذِيبٌ وَلَا إِيْذَاءٌ، وَلَا تَقَوْلٌ عَلَيْهِمْ وَلَا بَدَاءٌ، وَيَكْفِيهِمْ شَرَفًا وَسُمُوءًا، وَرَفْعَةً وَعُلُوءًا، أَنَّهُمْ أَوْضَحُوا لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الْمُنِيرَ، بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ وَكِتَابٍ مُنِيرٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١)، وَيَقُولُ فِيهَا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ، وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢)، وَبِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ أَوْضَحَ اللَّهُ السَّبِيلَ، وَأَقَامَ الدَّلِيلَ، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَخْتَارَ طَرِيقَهُ فِي الْحَيَاةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ كُلَّ مَا يُبْعِدُهُ عَنِ مَوْلَاهُ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا كَمَا أَمَرْنَا سُبْحَانَهُ

(١) سورة فاطر / ٤ .

(٢) سورة فاطر / ٢٤ - ٢٥ .

فِي سُورَةِ فَاطِرٍ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>، وَمِنْ عَدَاوَتِهِ لِلإِنْسَانِ تَزْيِينُ السَّيِّئِ وَالْقَبِيحِ لِيَرَاهُ حَسَنًا، فَكَمْ مِنْ مُخَالَفَاتٍ ارْتَكَبَهَا الإِنْسَانُ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا إِحْسَانٌ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

تَضَمَّنَتْ سُورَةُ فَاطِرٍ كَثِيرًا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الإِنْسَانِ، وَقَدْ أَمَرْنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَذْكُرَهَا وَنَشْكُرَهُ عَلَيْهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِمَّنْ أَسْمَاءُ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤَفِّكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا سُورَةُ فَاطِرٍ نِعْمَةُ المَاءِ، فَمِنْ المَاءِ جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا، وَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَنِ إِنْشَاءِ السَّحَابِ وَالرِّيَّاحِ الَّتِي تَسُوِّقُهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الأَرْضِ الجَدْبَاءِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ، فَأَحْيَا اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ هَذِهِ الأَرْضَ حَتَّى أَصْبَحَتْ ذَاتَ زَرْعٍ وَأَشْجَارٍ، وَثَمَارٍ وَأَزْهَارٍ، وَتَحَوَّلَ أَصْفَرَارُهَا إِلَى خَضْرَاءَ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَا تَحْمَلُهُ السَّحُبُ مِنْ مَاءٍ، حَرَّكَتْهَا الرِّيحُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، وَكَمْ مِنْ مَنْطِقَةٍ مَرَّ عَلَيْهَا الإِنْسَانُ وَهِيَ مَحَلُّ جَدْبٍ جَرْدَاءٍ، ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَهِيَ خَضْرَاءُ، كُلُّ ذَلِكَ -عِبَادَ اللَّهِ- مِنْ آثَارِ المَاءِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِرُ بِهَا سَحَابًا فَسُقِنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، وَتَعَوَّدُ السُّورَةُ تَلْفَتُ أَنْظَارَكُمْ إِلَى المَاءِ مِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى: زَاوِيَةِ تَنْوِيعِ المَاءِ، فَهَذَا عَذْبٌ سَائِغٌ، وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ، يَفْتَرِقَانِ ثُمَّ يَنْتَقِيَانِ فِي خِدْمَةِ الإِنْسَانِ، حَيْثُ يَحْتَفِظُ كُلُّ نَوْعٍ بِخِصَائِصِهِ، وَفِي هَذَا التَّنْوِيعِ يَتَجَلَّى التَّقْدِيرُ، وَيَتَضَحَّى القِصْدُ وَالتَّدْبِيرُ، فَلَا العَذْبُ يَطْغَى عَلَى المَالِحِ، وَلَا المَالِحُ يَطْغَى عَلَى العَذْبِ، لِنَبْقَى مَصْلَحَتَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ الِهْدَفُ المَقْصُودُ، حَيْثُ الخَيْرُ فِي كِلَيْهِمَا مَوْجُودٌ، وَتَأَمَّلُوا - عِبَادَ اللَّهِ - قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:

(١) سورة فاطر / ٦ .

(٢) سورة فاطر / ٨ .

(٣) سورة فاطر / ٣ .

(٤) سورة فاطر / ٩ .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ. وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)، ومرةً أخرى - أيها الناس - تهبب بكم سورة فاطر - وهي سورة من كتاب الله المسطور - إلى النظر في كتاب الكون المنظور، فتحدثت السورة هذه المرة عن الماء وقد أنزله الله من السماء، فأخرج به الثمرات المختلفات الألوان، وهو معرضٌ بديعٌ للألوان، يعرفه أولو النهى من بني الإنسان، فما من نوعٍ من الثمار يماثل لونه لون نوعٍ آخر، بل ما من ثمرةٍ واحدةٍ يماثل لونها لون أخواتها من ذات النوع، فدققوا - عباد الله - في ثمرتين أختين، ليظهر لكم ما بينهما من اختلاف اللون، كلُّ هذا دليلٌ على قدرة الله وحكمته، فاختلاف اللون صفةٌ رائعةٌ من صفات الكون، نجدُها في كلِّ شيءٍ، وتجدُ هذا التكوين والتلوين في كتاب الله المنظور حين يقلب صفحاته العلماء الذين يتلون كتاب الله المسطور، ويبحثون في الكون المنظور، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢).

فاتقوا الله - عباد الله -، وأعلموا أن تلاوة كتاب الله لا تعني مجرد المرور بكلماته، والتلفظ بعباراته، بل تعني التدبر الذي ينتهي إلى الإدراك والتأثر، والذين يتلون كتاب الله يتبعون ذلك إقام الصلاة، والإنفاق سراً وعلانيةً، أولئك يرجون أجوراً وأفياً، وخيرات ضافيةً، كما وعدهم الله بذلك في سورة فاطر فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكُورَ، لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣)، وهكذا عباد الله تجمع سورة فاطر بين عبادته سبحانه في كونه المنظور، وكتابه المسطور.

(١) سورة فاطر / ١٢ .

(٢) سورة فاطر / ٢٧-٢٨ .

(٣) سورة فاطر / ٢٩-٣٠ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ  
يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

\*\*\* \*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ، سُبْحَانَهُ أَمْسَكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى  
الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُكَافِي بِالْمُتُوبَةِ مَنْ  
أَحْسَنَ عَمَلَهُ، وَيُجَازِي بِالْخَيْرِ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَاقْتَفَى نُورَهُ وَهَدَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا  
وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، خَيْرُ مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ بِالْغَيْبِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ فِي الْجَزَاءِ، حَتَّى مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَأَسَاءَ، فَضَلًّا - عِبَادَ اللَّهِ - عَمَّنْ  
اِقْتَصَدَ فَكَانَ وَسَطًا فِي عَمَلِهِ، وَمَنْ كَانَ سَابِقًا بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
شَمَلَ الثَّلَاثَةَ جَمِيعًا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ  
لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (١)، لَقَدْ  
أَكْرَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَوَعَاهُ، فَعَمِلَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ مَسْعَاهُ، فَجَعَلَ الْجَنَّةَ  
مُسْتَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ، يَقُولُ اللَّهُ فِي بَيَانِ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ  
يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٢)، فَجَزَاؤُهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ،  
يَجْتَمِعُ لَهُمْ فِيهَا الرَّاحَةُ وَالْإِطْمِنَانُ وَالنَّعِيمُ، وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ مَا نَالُوا هَذَا  
الْفَضْلَ بِعَمَلِهِمْ فَقَطْ، بَلْ نَالُوهُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَإِكْرَامِهِ وَمُتُوبَتِهِ، وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ عَلَى هَذَا الْعَطَاءِ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى حُسْنِ الْجَزَاءِ، فَيَقُولُونَ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا

(١) سورة فاطر / ٣٢ .

(٢) سورة فاطر / ٣٣ .



فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١﴾، أَمَّا الَّذِينَ خَلَفُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَعَصَوْهُ، وَكَفَرُوا بِهِ وَنَسُوهُ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ دُونَ مَتَابٍ؛ فَهُمْ فِي جَهَنَّمَ - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - يُعَانُونَ النَّفْسَ وَالْاضْطِرَابَ، وَفِي شَأْنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٢﴾.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

تَضَعُ لَنَا سُورَةَ فَاطِرٍ فِي خِتَامِهَا بَعْضَ الْقَوَاعِدِ وَالسُّنَنِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَتَتَابِعُ الْأَجْيَالَ فِي الْأَرْضِ، وَذَهَابُ جِيلٍ وَمَجِيءُ جِيلٍ هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي تَتَوَالَى عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَكَرُّ الْعُصُورِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَهُ إِيمَانُهُ وَصَلَاتُهُ، وَمَنْ كَفَرَ فَعَلِيهِ كُفْرُهُ، وَكُلُّ مَنْ آذَى غَيْرَهُ وَمَكَرَ بِهِ حَاقَ بِهِ مَكْرُهُ السَّيِّئُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَتَدَبَّرُوا سُورَةَ فَاطِرٍ، وَتَفَكَّرُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ عَدَمَ مُؤَاخَذَتِهِ لِلْعِبَادِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَسَيِّئِ عَمَلِهِمْ، وَلَوْ جَازَاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ لَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ بَيْبَابًا خَرَابًا، وَلَكِنَّهُ يَفْسَحُ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا فِي آخِرِ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّكَّفَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٤﴾.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة فاطر / ٣٤-٣٥ .

(٢) سورة فاطر / ٣٦ .

(٣) سورة فاطر / ٤٣ .

(٤) سورة فاطر / ٤٥ .

(٥) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يُعْظَمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.